علي الجندي

ثم تفتح الصمت

عند العتبة

سحابةٌ من الضياء الاحمر الجفونْ ،
تهبُّ من مستنقعٍ وراء أفقنا ،
فتمطر الجنونْ ؛
وترتمي مجهدةً ، على فم الغار الذي ينزّ بالأنينْ :
تنوّر الأحجارَ في غيابة الترابْ ،
تمتلىءُ الحجارةُ السوداءُ من داخلها بالضوء والشرابْ !
فيسمع الحداء من عتمته للغارْ
ويلمح الشرارْ :

المجدُ للنجوم في المجرّة القديمهْ
النصر للنيازك البعيدهْ
غنّي مع الرياح يا قيثارةً فريدهْ
فقد أطلّ موسم الدماء في البحارْ ،
وقاربُ النجاة عالقٌ بصخرة في ظلمة القرارْ ؛
القارب الشبحْ
من خشب الكلام صنعه ،
من ومضة ناصلة الحروف ،
أشواكه منشبةٌ في قلبي الخريف !

يمرّ السنا عند بابي
يحيّي ، يتابع دربَهْ
وتصهل عَبْرَ شبابي

الرياحُ ، تطلب توبَهْ !
والغابةُ تمطرني رعْبا
وتهدّم أركانَ الصمتِ
ويحوّم في فسحة بيتي
خفّاشٌ يمنحني حبّاً !

وتفور من البركان سيول ناريّهْ ،
وتَعِبّ الأمواهُ على الشطآنِ .
رمالٌ غيبيّهْ
وخلال دمي
تتأجّج أفكارٌ ، عن أرضٍ سوداء مشويّهْ
في قفر فمي
تتأرجح جثث الكلمات المطفيّهْ !

منذا يخدّر المارد في قمقم اعماقي ؟
ومن يذرّ الشمس في ظلمةِ أحداقي ؟
ومن مُعيني في جحيمي القطبيّ ، في سَوْرة أشواقي ؟
الليل في الصحراء أنساني إشراقي !
فهلّلي يا بومةَ الحجارِ
وأيقظي الزهور في نوّارِ .

●

لماذا ؟

أنتهك ابتسامة الحياة في جوانحي ،
أرهق ثورة الدموع في دمي
أقتل ظلّ الشمس في ختام قصتي
أريق عند حافة الغابات خمرتي

أتفل أيامي في قرارة الربيعْ
وأنتهي في قطرة مريرة
تمجُّها حبيبتي !

يا سيّد النيران ، يا معلّم الفصول ، يا إله غرفتي
يا ملهمي السكوتَ والاحجام عن تملّك الشيطان والدموعْ
ما بين صدري وشفاهي ظلمةٌ من الصقيعْ
باديةٌ شاسعةٌ ، قفرٌ بلا نهايهْ
يابسة العيون لا تحسّ رعشة الغوايهْ
يا ملهمي الجنون ، يا حزينُ ، يا قطار رحمتي !

لولا الرمادُ المرّ في مواقدي القديمهْ ،
لولا الرياحُ السودُ في نوافذي السقيمهْ ،
لولاك يا خرافة العبير والربيعْ :
لهِمْتُ في سرادق الأوهام دون موكبٍ
ودونما شموعْ .

وأنت يا جنيةً حزينةَ الخطا
يا روضةَ الأشرعة السوداء ، يا عديمة الايمان بالرُّقَى ،
من لي اذا صفَّق في صدريَ طائرُ الشقا
غير ابتسامة الشموس والصقيعْ ؟

يا أيها الطير المروَّضُ الجناحْ
يا قبلة عاصفة في موكب الصباحْ
يا خطراً يحدق بالبلابلِ
يا رمزَ حب مدلهمٍّ زائلِ :
هاتِ الأساطيرَ بلا لون على خمائلي !